الترف في بناء المساجد في الأندلس من ١٣٨هـ/ ٧٥٥م إلى ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م
مسجد قرطبة أنموذجا

أ. د. لطيف خلف محمد الدليمي
جامعة الأنبار
كلية التربية للعلوم الانسانية

أ. م. د. رضاب حاتم ياسين
جامعة الأنبار – كلية التربية للبنات

الملخص

إنّ المستوى العالي للأنشطة الاقتصادية في الأندلس والممارسة للإنتاج كان له الأثر الكبير في الارتقاء بالمستوى المادي والمعاشي للمجتمع، مما أسهم اسهامًا بارزًا في نظاهر الترف التي عاشها الأندلسيون، فضلاً عن وفرة المواد الأولية في أرض الجزيرة التي أعانت على قوة دخل الفرد والدولة والمجتمع، ومن طبيعة البشر على العموم يأخذون مظاهر المدينة عن طريق التعلم حينا، وفي بعض الأحيان يحاكي الإنسان من هو أرقى منه فيحاول التشبه به من خلال التطور وطرق المعيشة والعمران، وهذا ما نراه عند الأندلسيين حكامًا ومحكومين، ففي أغلب أوقاتهم كانوا يحاكون المشارقة في كل شيء من طرائق العلم إلى العمران، فكان من نتائج التقدم العلمي والحضاري عند الشعوب التي ترتقي سلم المدنية، ظهور الترف بأوسع أبوابه، فيتحكم ذلك في اتجاهات وسلوكيات ذلك المجتمع، فإذا جئنا إلى المجتمع الأندلسي كنموذج ملحوظ من خلال استقراء التاريخ، نجد الترف كان سمة ذلك المجتمع في المرحلة التي تناولها البحث، فضلاً عما تقدم من أوجه الحضارة، فإن عامل التلاقح الحضاري بين الأندلس والحضارة الأوروبية أعطى هذا الجانب صفة مميزة، وهي التمازج في طبيعة الحياة المعاشة على صعيد العمران والرفاهية، وعلى هذا الأساس، كانت الشواهد التاريخية الممثلة بالعمران خير شاهد على الحركة العمرانية في بناء القصور والمساجد، ومنها جامع قرطبة محور الدراسة.

الكلمات المفتاحية: المساجد، الترف، الأندلس، قرطبة.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 8, Issue 26, Nov 2021
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

Luxury in Building Mosques in Andalusia from 138 A.H/ 755 A.D to 452 A.H/ 1060 A.D (Mosque of Qurtuba as a model)

Dr. Ridab Hatem Yasin
University of Anbar
Education College for Women

Dr. Latif Khalf Muhammed Al-Dulaimy
University of Anbar
College of Education for Humanities

Abstract

The high level of economic activities in Andalusia and the practice of production had a great impact on improving the material and living standards of society, which made a significant contribution to the aspects of luxury experienced by Andalusians, in addition to the abundance of raw materials on the island land that helped the strength of the income of the individual, the state and society. The nature of Humans in general take the manifestations of the city by learning, and sometimes man imitates someone who is superior to him and tries to imitate him through development, ways of living and urbanization. This is exactly what we see among the Andalusian rulers and ruled, for most of their times they were imitating the East in everything from the methods of science to the urban, the result of the scientific and cultural progress of the peoples who ascend the ladder of civilization was the emergence of luxury in its widest gates, and this controlled the attitudes and behaviors of that community. If we come to the Andalusian society as a remarkable model through extrapolation of history, we find that luxury was characteristic of that society in the stage covered by the research. In addition to the above aspects of civilization, the cross-fertilization factor between Andalusia and European civilization gave this aspect a distinctive characteristic, which is the intermingling of nature of the lived life in terms of urbanization and luxury. On this basis, the historical evidence represented by urbanism was the best witness to the urban movement in building palaces and mosques, including the Cordoba Mosque, the focus of the study.

Keywords: Mosques, luxury, Andalus, Qurtuba.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وساء على هديه إلى يوم الدين... أما بعد:

فقد كان اختيارنا لموضوع الترف كونه ظاهرة شائعة تشترك فيه المجتمعات كافة، وقد قطعت فيه أشواطا طويلة، حتى أصبحت سمة حضارية، تمثل كيان ذلك المجتمع على الصعيد الحضاري، وليس المجتمع الأندلسي بدعاً من ذلك التوجه، فقد تظافرت عوامل عدة لذلك المجتمع أهمها الرقي المادي والعلمي والعمراني، فضلاً عن التأثر والتأثير من خلال الامتزاج الحضاري بين العرب والأوروبيين، فظهرت لذلك شواهد مهمة على تلك المدنية، متمثلة بالمساجد والقصور التي ما زالت شاهدة على تلك الحضارة، ومنها جامع قرطبة الكبير الذي هو موضوع هذه الدراسة.

قُسّم البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، جاء المبحث الأول بعنوان: الترف في اللغة والاصطلاح، أما المبحث الثاني: موقع المسجد الجامع.

المبحث الأول: الترف في اللغة والاصطلاح

الترف في اللغة:

الترف: التنعم[١]، والتّرفه بالفتح: النعمة[٢]، والترفة الطعام الطيب[٣]. وأطلق العرب على الترف: داء الملوك وذلك لتنعمهم وبطرهم:

داءُ الملوكِ يَلوحُ فوق جَبينُه ** شَهَدتْ بذاكَ مواضعُ التحْديقِ[٤]

كما أنهم رفضوا في تولي القيادة من كان مترفا، فقال الشاعر:

فَقلَدوا أمرَكمْ للهِ دَرَكُم ** رَحْبُ الذِراعِ بأمرِ الحربِ مُضطَلعا

لا مترفاً إن رخاءَ العيشِ ساعَدَه ** ولا إذا عَضَّ مكروهٍ به خَشَعا[٥]

ووصفت المرأة ذات النعمة بأنها «نؤوم الضحى»، لأنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها[٦].

كما ضرب المثل في النساء الحسان بأنهن كالغزلان اللواتي يعد لهن الماء الحار، كناية عن كونهن من أهل النعمة والترف[٧].

ومن خلال قواميس اللغة نجد كثيرا من المترادفات التي تعني الترف، مثل: النعمة، والمنعمة، والدعة، والشهوة، والسلطة، وغيرها مما تستعذبه النفس وتستريح إليه من ملاذ الحياة وشهواتها.

الترف في القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم آيات ذكرت النعيم ومرادفاته في وصف الأمة التي كانت على درجة من الحضارة والترف.

ففي سورة المؤمنون، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[٨]، فقوله «أترفناهم» بمعنى نعمناهم[٩] في حياتهم الدنيا ووسعناه عليهم[١٠]، وذلك بكثرة الأموال والأولاد[١١]، ويفيد النص القرآني أن هؤلاء القوم قد اتبعوا شهواتهم وفضلوها على اتباع الرسل، فكانت عاقبتهم ما حل بهم من عقاب، في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢)﴾[١٢].

وفي سورة سبأ جاء وصف القوم بالترف في صيغة الجمع، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ(٣٥) ﴾[١٣]. فالنص يوحي بأنهم كانوا متوسعين بالنعم في قراهم المذكورة[١٤]، وهم

رؤوس القوم في الشر، فأترفناهم[١٥] وفتناهم بالغنى في تلك القرى[١٦]، وهم قليلو تعب النفس والبدن[١٧].

والمتمعن في المعنى الوصفي الدقيق للآية يجد أن هؤلاء المترفين قد كذبوا الرسل بسبب خوفهم من زوال النعيم الذي هم فيه من الأموال والأولاد، مع حبهم واستعلائهم على من جاءهم بالحق وتذكيرهم بنعم الله عليهم، وهم في ذلك كله اعتقدوا أن الفيصل في المفاضلة بين الناس هو الترف وكثرة النسل من الذكور[١٨]. وبعضهم فسر الآية بحال أهل مكة الذين تنافسوا بكثرة أموالهم وأولادهم وفاخروا النبي ﷺ بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر على المؤمنين والاستهانة بهم[١٩].

كما جاءت الآية الكريمة التالية في وصف المترفين، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ(٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ(٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ(٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ(٦٧)﴾[٢٠]، فالمترفون في الآية تعني العظماء[٢١]، وهم السعداء المنعمون في الدنيا[٢٢]. والمقصود بهؤلاء هم كفار قريش من ساداتها وكبرائها[٢٣]. والذي دفعهم إلى التعالي والتكبر على من سواهم هو الترف والنعيم الذي أدى بهم إلى ما يستحقون من العذاب[٢٤].

وترد أيضا كلمة «المترفين» في سورة الواقعة، في وصف أصحاب الجحيم وما صاروا إليه بسبب ترفهم وتنعمهم، يقول الله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ(٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ(٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ(٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ(٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ(٤٥)﴾[٢٥]، أي كانوا منعمين متعلقين بلذات أنفسهم[٢٦] من المأكل والمشرب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة، منهمكين في شهواتهم[٢٧]، وقد ألهتهم دنياهم وعلموا لها[٢٨]، لا ينصبون في الطاعة[٢٩]، متبعين هوى أنفسهم يفعلون ما يشاؤون بلا أي مانع أو رادع[٣٠]، تاركين أمر الله ﷻ[٣١]، ولعل النص القرآني في الآيات السابقة أشار إلى حال المترفين في الدنيا وعاقبتهم في الآخرة، فضلا عن إرشاد الناس للابتعاد عن مظاهر الترف التي أدت بأصحابها إلى الجحيم[٣٢].

وألفاظ الترف ومشتقاته في القرآن الكريم كثيرة أخذنا بعضها على سبيل الاستشهاد عن لفظ الترف الذي يعني التنعم، وهو ما يخص هذه الدراسة.

الترف عند علماء المسلمين:

تناول علماء المسلمين الترف في كثير من كتاباتهم تلميحا أو تصريحا أو بذكر مظاهره وآثاره المتنوعة، وقد اتضح الحديث عن الترف لديهم بصيغة تكاد أن تكون واحدة لا خلافا جوهريا فيها[٣٣].

ذكر ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) الترف في مقارنته بالخصب[٣٤]، فقال: "الترف والنعيم"[٣٥]، وقال كذلك: "الترف والنعمة"[٣٦]، وربط الترف بالملك إذ قال: "بالملك والترفه"[٣٧]، كما عطف الغنى على الترف بقوله: "الترف والغنى"[٣٨]، كما عطف عليه الغرور كذلك بقوله: "الترف والغرور"[٣٩].

والواضح هنا أن ابن خلدون يقصد أن الترف أيا كان هو نوع من أنواع المتعة التي سعى الإنسان للحوصل عليها، فهو يذكر الترف في معرض حديثه عن النعم[٤٠].

ولعل أهم ربط قام به ابن خلدون في مقدمته، هو ربطه للترف بالحضارة، إذ قال: "الترف والحضارة"، وعكس العطف في موضع آخر فقال: "للترف والحضارة"[٤١]، ومن هنا يبدأ ابن خلدون بربط الترف بالحضارة وجعلها موازية للترف ذاته، ويمكن للراغب بالتعرف على مفهوم الترف عند ابن خلدون أن يخلص إليه من خلال مقدمته التي أسهب واستفاض فيها في الحديث عن الترف ومظاهره وأسبابه وآثاره[٤٢]، كما كانت نظرته للترف بأنه ناحية كمالية في حياة الإنسان وليست أساسية، ولذلك فهو يعدها مرحلة لاحقة تحدث بعد الملك، ولولا الملك ما حصل الترف، فالترف يتجاوز حياة الإنسان الأساسية، إذ ليس من الترف البحث عن الحاجات الملحة كالمأكل والمشرب والملبس، ولكن البحث عن كماليات تفيض عن حاجة الناس التي لا يمكن الاستغناء عنها، فهذا الذي يعد ترفا.

عالم آخر من علماء المسلمين قارن بين الترف والنعم، وهو الشيرازي (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، وجعلها مدخلا للبطر[٤٣]، والبطر هو الطغيان عند النعمة[٤٤]، والشيرازي يساوي بين المعنيين إذ جعل الترف مرادفا للنعم، كما وافقه في النظرة نفسها عدد كبير من العلماء منهم أبو الحسن الندوي[٤٥]، إذ قارن بين الترف والنعم[٤٦].

أما الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) فقد قارن بين الترف والملاذ، وهذا يعني أن الترف والملاذ هي أحد مظاهر التنعم[٤٧].

ويمكن القول من خلال ما تم طرحه من آراء العلماء حول مفهوم الترف لديهم، بأنهم كادوا يتفقون على أن الترف يدل على جميع أنواع النعم التي يستطيع الإنسان الحصول عليها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، والتمتع بالمناصب السلطوية داخل الدولة، يؤكد العلماء ذلك في أثناء تعداد النعم، ويمكن القول إن جميع العناصر التي ذكرها العلماء عن الترف تدل على العيش السعيد الهادئ، بصرف النظر عن كون هذه الحياة تمارس في إطار ما هو مشروع أو غير مشروع دينيا، ومن الواضح أيضا أن هذه النظرة ترتبط ارتباطا وثيقا بما أولته المعاجم اللغوية حول مفهوم الترف التي وردت في الفقرات السابقة[٤٨].

وهناك عدد كبير من العلماء الذين كانت لهم آراء مختلفة في مظاهر الترف التي لا نستطيع حصرها جميعا في هذا البحث المبسط إلا أننا قمنا بأخذ عدد قليل من آراء بعضهم.

المبحث الثاني: موقع المسجد الجامع

اقترن عصر الفتوحات الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية بإنشاء مراكز إسلامية «أمصار»، وكان الغرض منها أن تكون قواعد حربية ومراكز لجيوش المسلمين الفاتحين من ناحية، ولصبغ البلاد المفتوحة بالصبغة العربية الإسلامية من ناحية أخرى(٤٩).

كانت المساجد هي النواة الأساسية التي اعتمدها الفاتحون المسلمون لصبغ المدن المفتوحة بالصبغة الإسلامية، إذ يصبح الجامع بمرور الزمن مركز المدينة وقلبها النابض، وعنه تتفرع الأزقة والطرق المؤدية إلى أبوابها(٥٠).

ومن هذه الجوامع التي خلدها التاريخ في كتبه هو المسجد الجامع الذي لم تخلد أثر من الآثار الإسلامية في كتب التاريخ مثله، فقد كتب عنه جميع مؤرخي العرب في المغرب والأندلس، ووصفوه وصفا دقيقا فاق كل وصف، ولولا أن هذا الأثر الجليل ما يزال قائما حتى اليوم تشهد عناصره بصدق أقوالهم، لكنا اعتبرنا هذه الأوصاف ضربا من الخرافة أو نوعا من المبالغة الخيالية(٥١).

لذلك يعد هذا الجامع من أعظم مساجد الأندلس وأكثرها أناقة، ويعد تحفة فريدة من حيث روعته وزخرفته وفنون عمرانه. وهو من أهم المشيدات العمرانية في الأندلس وهو المسجد الجامع في قرطبة، ويسميه الإسبان الكاتدرائية (Catedral de Nuestra Señora de la Asunción)(٥٢).

قام عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م) مؤسس الإمارة ببناء مسجد قرطبة الجامع. وقد حظيت قرطبة باهتمام كبير وعناية لا مثيل لها من قبل هذا الأمير والأمراء من بعده، لأنها مركز الإمارة، بعد أن استتب الأمر للداخل، قام ببناء قصره وسور حول قرطبة سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م، وذلك لزيادة تحصينها بهدف تحقيق الأمن لمقر الإمارة ولأهل بيته(٥٣).

ثم جاءت الخطوة الثانية وهي الشروع في بناء مساجد الأندلس كافة، فأمر بتوسيعها وإصلاحها، وبناء مساجد جديدة في سائر مدن وقرى الأندلس، وكانت قرطبة لها النصيب الأوفر من البناء سواء في تعمير المساجد أو المرافق الأخرى باعتبارها مركز الإمارة ومقرها(٥٤).

وبعد أن وجد الأمير الداخل ضيق مسجد قرطبة، وازدياد أعداد المصلين سيما وأنه أقيم إلى كانب كنيسة قرطبة، إلى جانب كنيسة قرطبة التي كانت يسمونها (شنت بنخبنت) فاشترى

موضع الكنيسة بمائة ألف دينار وأنفق على بناء الجماع ثمانين ألف دينار. وبذلك حظي مسجد قرطبة بعناية الأمير الداخل والأمراء الذين جاؤوا من بعده.

لقد كان طول المسجد الجامع (١٨٠) باعا نصفه مسقف، وهو الذي يعرف بالحرم، ونصفه الثاني مكشوف ويعرف بالصحن، وكان اتساع البلاطة الواحدة (٦.٨٦) مترا، غير أن البلاط الأوسط يزيد اتساعه ذلك بقليل إذ يبلغ (٧.٨٥) مترا[٥٥].

أما سقف المسجد، ففي بداية بناءه كان مبطنا بالخشب من عيدان الصنوبر منقوش عليها زخارف هندسية ملونة، وقد وصفها الحميري بقوله: "سقائفه من ضروب الصنائع، والنقوش ما لا يشبه بعضها بعضا، وقد أحكم ترتيبها وأبدع تكوينها بأنواع الحمرة والبياض والزرقة والخضرة"[٥٦].

امتدت داخل بيت الصلاة صفوف من الأعمدة الممتدة إلى ما لا نهاية بعقودها المزدوجة بحيث يخيل للناظر كأنها غابة من النخيل، وكان صحن الجامع مغروسا بالأشجار مثل الليمون والنارنج والبرتقال، وقد سار الأمراء الذين جاؤوا بعد الأمير الداخل على نفس النهج، وقد عهد بالجامع إلى عبد الله بن صعصعة الشامي (توفي ١٩٢هـ/ ٨٠٧م)[٥٧].

وقد ذكر الحميري وصفا لمسجد قرطبة الجامع عند اكتمال بنائه في أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الداخل بقوله: "وليس في مساجد المسلمين مثله تنميقاً وطولاً وعرضاً، طوله مائة باع وثمانون باعاً ونصفه مسقف، ونصفه صحن بلا سقف، وعدد قسي مسقَّفه أربع عشرة قوساً، وسواري مسقفه بين أعمدته وسواري قببه صغاراً وكباراً مع سواري القبلة الكبرى وما يليها ألف سارية، وفيه مائة وثلاث عشرة ثريا"[٥٨].

لقد كان المسجد الجامع ملاصقا لقصر قرطبة، الأمر الذي جعل الأمير الداخل يتخذ أبراجا للقصر ليقوم مقام المئذنة، حتى يسمح الوقت للداخل بإقامة مئذنة، لكن الموت أدرك الأمير الداخل قبل إتمام بعض الأمور التي كان ينوي القيام بها، فأتمها من بعده ولده هشام، إذ بناه بأموال كثيرة وجعل خمس خراج مدينة أربولة لإكمال البناء[٥٩]. وقد جاء الأمراء من بعد ابنه بزيادات وإجراءات وتحسينات في المسجد الجامع وخصصت له أوقاف من أجل الإنفاق عليه.

بعد انتهاء عصر الإمارة الأندلسية، وبدء عصر الخلافة بتولي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) فإن هذا يعد نقطة تحول لدى الأمويين، إذ أعلن الأمير عبد الرحمن الناصر الخلافة سنة (٣١٦هـ/ ٩٢٩م)، وقد تميز عصره بالرخاء الاقتصادي، وكان الجانب المعماري قد شغل حيزا كبيرا من عنايته بما سبقه من الأمراء، وكان المسجد الجامع في قرطبة من أبرز الصروح المعمارية التي حظيت باهتمام الخليفة ومن جاء بعده[٦٠].

إلى جانب بناء مدينة الزهراء سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م، فقد اهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر بالمسجد الجامع وأهم الأعمال التي قام بها، أنه هدم الصومعة القديمة التي أمر الأمير هشام بن عبد الرحمن ببنائها، وأقام صومعة جديدة، وهذا يرجع لأسباب أهمها أنه أراد أن يضفي الفخامة على بناء القصور والجوامع والمساجد التي تليق بالخلافة التي أعلنها سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٩م، ويعد عبد الرحمن الناصر أول خليفة أموي في الأندلس قرر أن يقيم مئذنة جديدة تسمو على سائر العمران في قرطبة، يراها القادمون إليها من بعيد كأنها المنار الذي يهدي السفن الضالة في مياه البحر(٦١).

والسبب الآخر أن الصومعة قد تهدمت من جميع الجهات وأصبحت تشكل خطرا على المؤذنين والمصلين، فقرر أن يهدمها ويبني مئذنة جديدة، وذلك سنة ٣٤٠هـ ٩٥١م، فتم حفر الأساس، وبلغت مدة البناء ثلاثة وأربعين يوما، وكان بناؤها بمحاذاة الجدار الشمالي للمسجد، حتى لا تبرز نحو الخارج، وفصل بين الصاعدين للصومعة بالبناء فلا يلتقي الصاعدان إليها إلا في أعلاها(٦٢).

ثم أمر الخليفة بتركيب ثلاث تفاحات، اثنتين من الذهب وواحدة من الفضة(٦٣)، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عظمة البنيان وكثرة الأموال والرخاء الاقتصادي الذي عاشته الأندلس في خلافة عبد الرحمن الناصر ومدى الإنفاق الكبير على المسجد الجامع والترف الذي ساد عصره.

وكان الحجر الجيري الذي يعرف بالملكي يبطن جدران المئذنة جميعها وكان أسفل المئذنة منقوش بزخارف ملونة متعددة(٦٤)، وطول كل حائط منها يبلغ ثمانية عشر ذراعا(٦٥)، ثم توجه الخليفة الناصر من مدينة الزوراء لافتتاحها، فصعد إلى الصومعة من أحد درجيها، ونزل من الثاني، وصلى ركعتين فيها وانصرف(٦٦).

لم يقتصر عمله على الصومعة، بل كان أغرب ما قام به الخليفة الناصر هو بناء القبو الكبير يصطف به المؤذنون يوم الجمعة ليرفعوا الأذان، والذي يعد من عجائب البنيان(٦٧)، كما أمر بترميم واجهة بيت الصلاة الذي تهدم بسبب قوة الدفع المستمرة للعقود الداخلية وإصلاح أبواب المسجد(٦٨).

إن جميع الأعمال التي قام بها الناصر قد نظمها على شكل نقوش وزخارف تؤكد بالتواريخ الزيادات التي أمر بها الخليفة الناصر، ومنها توثيق بنائه لواجهة المسجد الجامع التي ثبت فيها لوحة رخامية في الجانب الأيمن من الباب كتب عليها بالخط الكوفي: "بسم الله الرحمن الرحيم، أمر عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، أطال الله بقاه، ببنيان هذا

الوجه وإحكام إتقانه، تعظيماً لشعائر الله، ومحافظة على حرمة بيوته، التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الأجر وجزيل الذخر، مع بقاء شرف الأثر وحسن الذكر، فتم ذلك بعون الله، في شهر ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلث مائة"[٦٩].

هذا فيما يخص البناء، أما فيما يخص الأعمدة الرخامية التي كانت تزين المسجد الجامع والتي كانت تعد من روائع العمارة فقد كانت تشترى جاهزة، وكان التجار يجلبونها من الأبنية القديمة، ويشتريها خلفاء بني أمية بأغلى الأثمان من أجل تزيين المسجد الجامع[٧٠].

أما صحن المسجد الجامع فقد كسيت أرضه بالرخام الخمري، تتوسطه فوارة يجري فيها الماء وكانت من البدائع النادرة[٧١]. وللمسجد تسعة عشر بابا، تحيط بها العقود على شكل حذوة الفرس[٧٢]، وعدد أبوابه عشرون بابا مصفحة بالصفائح النحاسية[٧٣].

أما بالنسبة لإضاءة المسجد الجامع، فقد كانت ثلاثة عشر ثريا للوقيد، ومنها ما تحمل ألف مصباح، والصغيرة تحمل اثنا عشرة مصباحا[٧٤]، ويبلغ مجموع المصابيح حوالي سبعة آلاف قنديل من الزيت المعطر تتخذ من خزانات مصنوعة من نواقيس نصرانية مقلوبة معلقة هي الأخرى بالسقف[٧٥].

أما سقفه فهو عبارة عن تحف سماوية لا تشبه الواحدة منها الأخرى، مصنوعة من أخشاب الصنوبر، وقد تعددت ألوانها بعدد من الألوان، وتدرجت ما بين الحمر والزنجفارية[٧٦]، والبياض الإسفنداجي[٧٧]، والزرقة اللازوردية[٧٨]، والزرقون الباروفي[٧٩]، والخضرة الزنجارية[٨٠]، والتكحيل النفيس[٨١]. والأعمدة التي أقيمت عليها هذه السقفيات ذات رؤوس رخامية وتحت كل سقف إزار من خشب زين بآيات من القرآن[٨٢].

أما المنبر فقد عمل فيه حوالي سبعا وستين نجارا ونقاشا[٨٣]، صنع من الأخشاب النفيسة كالصندل وعود الند والأبنوس[٨٤]، أما مساميره فكانت من الذهب والفضة ومطعمة بالجوهر، وكان يتكون من سبع وثلاثين ألف قطعة صغيرة، أما العمال الذين قاموا بصناعته فكانوا ستة رجال عدا مساعديهم، وبهذا فهو مثل ما ذكر الإدريسي لا يوجد شبيهه في الأرض من فخامته ودقة عمله[٨٥].

لقد تغنى الشعراء بعظمة مسجد قرطبة وأبهته، فقال ابن المثنى فيه عندما زار المسجد:

بنيت لله خير بيتٍ ... يخرس عن وصفه الأنام
حجّ إليه بكل أوبٍ ... كأنّه المسجد الحرام
كأنّ محرابه إذا ما ... صفّ به الركن والمقام[٨٦]

ويتكون وجه المحراب من سبعة أقواس، وكل ذلك مزين بالذهب واللازورد، ومنقوش بأبدع أنواع النقش[٨٧]، وكانت أعمدة الرخام موجودة على جانبي المحراب اثنان أخضران واثنان زرزوران[٨٨] لا يقدران بثمن ورأس المحراب متوج بقطعة من الرخام[٨٩].

وللمسجد قبلة تعجز عن الوصف لشدة إتقان العمل فيها، وجمال تنسيقها وهي مزينة بالفصوص المذهبة والملونة استقدمها الناصر من القسطنطينية[٩٠].

وكانت الشمس تدخل المسجد كل يوم من نافذة، ولا تعود إليها إلى السنة القادمة، فالمسجد كان يحتوي ٣٦٠ نافذة تصل الشمس كل يوم لواحدة[٩١]. وبهذا كان المسجد الجامع مفخرة للمسلمين في الأندلس، وهو بذلك يشبه الجامع الأموي في الشام مما أنفق عليه من مال وما كسبه من جمال، حتى تغنى به الشعراء، قال أحدهم:

وَأبرَزَ في ذاتِ الإلهِ وَوَجهِهِ ... ثَمانينَ ألفاً من لُجَينٍ وعَسْجَدِ

فأنفَقها في مَسجِدٍ أُسُّه الشُّقَي ... ومَنْهَجُه دينُ النبيّ مُحَمَّد

ترى الذهب الناري بين سموكه .. يلوح كلمح البارق المتوقد[٩٢]

إن الزيادات التي كانت تضاف لهذا المسجد سواء في عصر الإمارة أو الخلافة ما هي إلا بسبب زيادة أعداد المصلين، فكلما زاد عددهم كلما دفع الحكام لعمل زيادة ما فيه، حتى أصبحت مساحة السقوف من المسجد وصحنه تتسع لستة آلاف مصل[٩٣].

إن من حق النساء الصلاة في المسجد، الأمر الذي غفل عنه عبد الرحمن الداخل عند بنائه المسجد، لكن حين تولى هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/ ٧٨٨-٧٩٦م) أمر البنائين أن يخصصوا جزءا من المساجد عند بنائها للنساء، ويمكن أن يكون سبب عدم البناء أنه كان يثقل كاهله بمصاريف إضافية، وبما أن المسجد جاء كتحفة فنية كان مصلى النساء هذا لا يقل أهمية وترفا عن مصلى الرجال، الأمر الذي كلف خزينة الدولة، وعرضه لانتقادات البعض[٩٤].

وقد حذا الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠- ٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م) حذو أبيه في الاهتمام بالمساجد، ولاسيما مسجد قرطبة، فقد قام الحكم بإضافة زيادة جديدة للمسجد الجامع في قرطبة، ببناء أربع ميضئات وأجرى لها الماء من سفح جبل قرطبة، وهو لا ينقطع ليلا ولا نهارا، وكانت هذه الأحواض مصنوعة من رخام أحضره من سفح جبل قرطبة، وجعل منها اثنتان كبيرتان للرجال، ومثلهما صغيرتان للنساء، وجاءت بأروع وأبهى صورة في الإبداع والتأنق والتزيين[٩٥].

وبعد سيطرة الحاجب محمد بن أبي عامر المنصور (٣٦٦-٣٩٢هـ/ ٩٧٦-١٠٠١م) على مقاليد الأمور، كان من أهم أولوياته توسعة المسجد الجامع الذي لا يوجد له شبيه في كل

مساجد المسلمين في البناء والأناقة، وقد استقدم بنائين له من خراسان والجلالقة والإفرنج مصفدون بالحديد إلى أن أتم بناءه حتى بلغت سعته ٧٤٢ × ٤٧٢ مترا[٩٦][٩٧].

لقد وجه الحاجب المنصور بالزيادة في ثماني بلاطات، عرض كل واحدة منها عشرة أذرع، وطول الصحن من المشرق إلى المغرب مئة وثمانية وعشرون ذراعا وطوله من القبلة إلى الجوف منه خمسة أذرع وعرض السقائف المستديرة لصحنه عشرة أذرع[٩٨]. وكانت هذه الزيادة في الجانب الشرقي، وفي عهد الخليفة هشام المؤيد أوصل الجانب الغربي للمسجد بقصر الخلافة فبدأ الحاجب المنصور بعمل بلاطات تمتد بطول المسجد من أوله إلى آخره، وكانت هذه الزيادة غاية في الإتقان والإحكام من دون زخرفة، وإن كانت لا تقل عن بقية الزيادات أبهة وجمالا[٩٩].

وبهذا التتبع التاريخي لمسجد قرطبة الجامع نرى مدى التطور الحاصل في توسعته وإضافات الأمراء والخلفاء عليه والإسراف في الإنفاق عليه، حتى أن الترف الذي حصل في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) ما هو إلا نظرة في عالم الفن المعماري في بناء المساجد التي اخترناها لبيان مدى الرخاء الاقتصادي الذي بلغ في الأندلس.

فضلًا عما تقدم فمن منشآت الجامع وجود المنارة التي لا مثيل لها، إذ كان ارتفاعها إلى مكان الأذان أربعة وخمسون ذراعًا، وطول كل حائط من حيطانها على الأرض ثمانية عشر ذراعًا[١٠٠].

وكانت الميضاءه (موضع الوضوء) تعدمها أولويات منشآت الجامع فقد اهتم بها الخليفة الحكم المستنصر (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)، فأمر ببناء أربع ميضاءات في كل جانب من جانبي الجامع الشرقي والغربي، اثنتان كبيرتان للرجال، ومثلها للنساء، وأجرى عليها الماء من جبل قرطبة، وكانت أحواض الميضاءات مصنوع من الرخام[١٠١]، وأنشأ الحاجب المنصور بن أبي عامر ميضائة في الجامع تعد من أبدع ما صنع من ميضاءات، وقد عدّها حسين مؤنس من ترف أهل الأندلس وتوسعهم في الفن العمراني[١٠٢]، وفي العصر الذي استولى فيه المرابطون على الأندلس اهتموا بجامع قرطبة، وهو ما يشير إلى الترف، فقد تم بناء حمام في الجماع، كما زادوا في سقف المسجد واستبدلوا أرجل القسي بأعمدة من الرخام[١٠٣].

الخاتمة:

بحمد الله وفضله تم الانتهاء من هذه الدراسة، وقد خلصت إلى نتائج عدة، منها:

- يعد الترف أحد ثمار النعمة التي يتمتع بها المجتمع، والذي يتحقق من خلال السلطة والاستقرار الاقتصادي والفرد المنتج، فضلًا عن جمال الطبيعة بالموارد الكثيرة التي تكون في متناول يد العاملين على الإنتاج.
- الأنشطة الكبيرة التي مارسها الأندلسيون ساهمت في رفع المستوى المعيشي، وهذا عامل مهم في التمهيد لأن يعيش المجتمع في ترف كبير.
- المحاكات الحضارية التي قام بها الأندلسيون حكامًا وأفرادًا لأهل المشرق وجيرانهم من الأوربيين جعلهم يهتمون بالعمران، وإدخال عادات الترف في المأكل والمشرب، وحتى في بناء المنشآت الدينية التي خلّدت ذكرهم.
- وكان من اهتمامهم بالمنشآت الدينية خصوصًا الجوامع، ومنها: جامع قرطبة موضوع البحث، أدى إلى صرف مبالغ طائلة من أجل اخراجه في أبهى حلّة وجعله متميزًا عن غيره من جوامع العالم الإسلامي.
- مثّل جامع قرطبة إنموذجًا للترف الذي كان يعيشه خلفاء وأمراء الأندلس، كما يعد عنوانًا لمدى الاسراف والترف الذي بلغته الأندلس في عصورها الزاهية، وهو تؤده الدراسات التي قدمت لبيان مدى ما بلغه العمران في هذا البلد.
- ومما تقدم في هذه الدراسة يمكن ملاحظة ما كان عليه جامع قرطبة الرائع من حيث اختيار الموقع، والجهد الذي قام به الامراء والخلفاء في الزيادة فيه على طول عصر الإمارة والخلافة والتوسعة عليه، والاهتمام به وبطرزه حتى غدا أحد أهم الصروح العمرانية التي عرفت واشتهرت في العالم حتى يومنا هذا.
- إنّ تميز الطراز الأندلسي المتمثل بالجامع وسعته وكثرة أعمدته الرخامية، والتفنن في محاريبه ومنارته وطلائه بالفسيفساء خير دليل على ما وصل إليه الترف الأندلسي في مجال العمران.

الهوامش

References

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م): لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١، بلات، ج٩، ص٤٧؛ ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥)، المحكم والمحيط الأعظم، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٩، ص٤٧٦.

(٢) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ/ ١١٢٤م)، مجموع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، بلاط، ج١، ص١٥٠؛ والزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، الكويت، المطبعة الحكومية، ط٤، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ج٢٣، ص٥٣.

(٣) ابن سيده، المحكم، ج٩، ص٤٧٦.

(٤) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م، ج١، ص١٨٥.

(٥) الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، الأغاني، تح: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢، بلات، ج٢٢، ص٣٥٩.

(٦) الجرجاني، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، دلائل الإعجاز، تح: محمد التجيبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ص١٩٩٥م، ص٦٦.

(٧) الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس (ت٢٣٢هـ/ ٨٤٦م)، ديوان الحماسة، تح: محمد عبد القادر سعيد الرافعي، مكتبة الأدب العربي، الأردن، إعداد الخطيب للتسويق والبرمجة، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، الإصدار الأول، ج٢، ص٨٩.

(٨) سورة المؤمنون، الآية ٣٣.

(٩) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، والمحلي، جلال الدين محمد بن أحمد (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط١، بلات، ص٤٤٩.

(١٠) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٦١٦هـ/ ١٢١٩م)، معالم التنزيل «تفسير البغوي»، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج٥، ص٤١٧.

(١١) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم «تفسير أبي السعود»، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، بلات، ج٦، ص١٣٣.

(١٢) سورة المؤمنون، الآيتان ٤١-٤٢.

(١٣) سورة سبأ، الآيتان ٣٤-٣٥.

(١٤) الآلوسي، أبو الفضل محمود بن عبد الله (ت١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلاط، ج٢٢، ص١٤٧.

(١٥) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت٢١٦هـ/ ٨٣١م)، تفسير الصنعاني، تح: مصطفى محمد وآخرون، مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ، ج٣، ص١٩٥.

(١٦) البغوي، تفسير البغوي، ج٦، ص٤٠١.

(١٧) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن «تفسير الثعالبي»، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بلات، بلاط، ج٣، ص١٤٨.

(١٨) زيارة، نادر فرج، الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي (٩٢هـ/٧١١م – ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص١٢.

(١٩) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج٧، ص١٣٥.

(٢٠) سورة المؤمنون، الآيات ٦٤-٦٧.

(٢١) الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ج١٩، ص٥٠.

(٢٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ج٥، ص٤٨٢.

(٢٣) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، زاد المسير في علم التفسير، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ، ج٥، ص٤٨.

(٢٤) زيارة، الترف، ص١٢-١٣.

(٢٥) سورة الواقعة، الآيات ٤١-٤٥.

(٢٦) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٧، ص٥٣٨.

(٢٧) أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج٨، ص٩٤.

(٢٨) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان «تفسير السعدي»، تح: عبد الرحمن بن ملا اللويحق، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص٥٢٠.

(٢٩) السيوطي والمحلي، تفسير الجلالين، ص٧١٥.

(٣٠) الآلوسي، روح المعاني، ج٢٧، ص١٤٢.

(٣١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٨، ص١٤٤.

(٣٢) زيارة، الترف، ص١٣.

(٣٣) زيارة، الترف، ص٣٥.

(٣٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، المقدمة، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص٨٩، ص١٤٦.

(٣٥) ابن خلدون، المقدمة، ص١٤٠.

(٣٦) ابن خلدون، المقدمة، ص١٤١.

(٣٧) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٩٢.

(٣٨) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٧٢.

(٣٩) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٧٢.

(٤٠) زيارة، الترف، ص٣٥-٣٦.

(٤١) المقدمة، ص١٧٢.

(٤٢) زيارة، الترف، ص٣٦.

(٤٣) الشيرازي، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تح: علي عبد الله المرسي، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٧هـ-١٩٩٧م، ص٥٥٧.

(٤٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٦٩.

(٤٥) الندوي، أبو الحسن علي بن الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، بلاط، بلات، ص٢٤٥.

(٤٦) الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص١١٣، ١٢٣، ٢٤٨.

(٤٧) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، ط٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، ج٦، ص٩٧.

(٤٨) زيارة، الترف، ص٣٧.

(٤٩) دويدار، حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص٢٠٢.

(٥٠) دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٢٠٤.

(٥١) سالم، السيد عبد العزيز، المساجد والعقود في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ١٩٨٦م، ص٩.

(٥٢) دويدار، المجتمع الإسلامي، ص٢٠٢، سالم، المساجد والقصور، ص٩.

(٥٣) الإدريسي، أبو عبد الله بمحمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م)، نزهى المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٩٩م، ص٨٩.

(٥٤) سالم، المساجد والقصور، ص٩.

(٥٥) ابن عذاري، أبو عبد الله، محمد بن أحمد المراكشي (ت٧١٢هـ/ ١٣١٢م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م، ج٢، ص٣٤١؛ المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٨-١٩٩٧م، ج١، ص ٥٤٦، ٥٦٠.

(٥٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٤٢؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بت محمد بن خلدون الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة، القاهرة، بلات، ج٤، ص١٢١.

(٥٧) وهو أبو عبد الله بن صعصعة بن سلام الشامي، يروي عن الإمام الأوزاعي، ولي الصلاة بقرطبة بعد قدومه من مصر، وكان أول من أدخل الحديث إلى الأندلس، ينظر: ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، تاريخ العلماء، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، ج١، ص٢٤٠.

(٥٨) الروض المعطار، ص٤٥٦-٤٥٧.

(٥٩) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد القرطبي (ت٣٢٨هـ/ ٩٩٢م)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ج٥، ص٢١٦؛ سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص٢٢٨.

(٦٠) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٢٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣٥.

(٦١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٢٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٦٢؛ سالم، حاضرة الخلافة، ج١، ص٣٩٠؛ العميد، آثار المغرب والأندلس، ص٢٢٥؛ العاني، وفاء محمد سحاب، مسجد قرطبة الجامع ودوره الحضاري (٩٢-٦٣٣هـ/ ٧١١-١٢٣٦م)، رسالة ماجستير، جامعة الأنبار، كلية الآداب، ص٦٧.

(٦٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٦٢؛ العميد، آثار المغرب والأندلس، ص٢٢٥.

(٦٣) البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م، ص١٠٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٦٢.

(٦٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٤٨؛ سالم، حاضرة الخلافة، ص٤٨.

(٦٥) البكري، المسالك والممالك، ص١٠٣-١٠٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٤٨.

(٦٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٦٢؛ سحاب، مسجد قرطبة، ص٦٨.

(٦٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٤١؛ العميد، آثار المغرب والأندلس، ص٢٦٥.

(٦٨) سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص٣٩١؛ العزي، مسجد قرطبة، ص٨١.

(٦٩) سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص٣٩١؛ عنان، الآثار الباقية في أسبانيا والبرتغال، ص٣٠-٣١؛ سحاب، المسجد الجامع، ص٦٨.

(٧٠) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٨٣.

(٧١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٤٥.

(٧٢) ديورنت، قصة الحضارة، عصر الإيمان، ج٢، ص٤.

(٧٣) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٩٩م، ج٢، ص٥٧٨.

(٧٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٧٥-٥٧٦؛ زيارة، الترف في المجتمع الأندلسي، ص١٥٦.

(٧٥) ديورنت، قصة الحضارة، عصر الإيمان، ج٢، ص٤؛ زيارة، الترف في المجتمع الأندلسي، ص٥٦.

(٧٦) صبغ أحمر، يكتب ويصبغ به، الزبيدي، تاج العروس، ج١١، ص٤٥٨. نقلا عن زيارة الترف في المجتمع الأندلسي، ص١٥٦.

(٧٧) البياض الاسنداجي، يعني: رماد الرصاص، زيارة، الترف في المجتمع الأندلسي، ص١٥٦.

(٧٨) صبغ يصبغ به، ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢٦٧. نقلا عن زيارة الترف في المجتمع الأندلسي، ص١٥٦.

(٧٩) لم أقف على تعريفه فيما وقفت عليه من مصادر. نقلا عن زيارة الترف في المجتمع الأندلسي، ص١٥٦.

(٨٠) بالكسر، ضربة في السُمك، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص٤١. نقلا عن زيارة الترف في المجتمع الأندلسي، ص١٥٦.

(٨١) ابن سيده، المخصص، نقلا عن زيارة الترف في المجتمع الأندلسي، ص١٥٦.

(٨٢) زيارة، الترف في المجتمع الأندلسي، ص١٥٦.

(٨٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٧٧.

(٨٤) ديورنت، قصة الحضارة، عصر الإيمان، ج٢، ص٢٥؛ زيارة، الترف في المجتمع الأندلسي، ص١٥٧.

(٨٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٧٧.

(٨٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٨.

(٨٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٥٧٦.

(٨٨) طائر، الزبيدي، تاج العروس، ج١١، ص٤٢٣.

(٨٩) الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م، ص٤٦٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٥٧٧.

(٩٠) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٥٧٦.

(٩١) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٥١٩

(٩٢) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٥٥.

(٩٣) أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مطبعة الصحابة، مصر، ط١، ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م، ج١، ص٢١٣.

(٩٤) السيد، عبد العزيز سالم، أضواء على مشكلة تاريخ بنيان المسجد الجامع بقرطبة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلد ١٥، ١٩٧٠م، ص٦٢.

(٩٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٥٥.

(٩٦) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٨٢.

(٩٧) القدم وحدة قياس توازي ثلث ياردة، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص٧٤٠.

(٩٨) البكري، المسالك والممالك، ص١٠٢-١٠٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٤٧؛ العاني، مسجد قرطبة الجامع ودوره الحضاري، ص٧٨.

(٩٩) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٤٨؛ العاني، مسجد قرطبة الجامع ودوره الحضاري، ص٧٩.

(١٠٠) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٤٨.

(١٠١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٥٥.

(١٠٢) مؤنس، حسين، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨١م، ص٧٩.

(١٠٣) ابن الخطيب، محمد بن عبد الله التلمساني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، كتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ج٣، ص٥٢٤.